



نففتح على بركة الله دروسنا في مادة الفقه إن شاء الله و كالعادة نففتح هذه الدروس بشيء من الترغيب في طلب العلم و تذكير في فضل العلم و أهله إن شاء الله تعالى و ترغيب الطلبة في المادة و في العلم هذا أمر ضروري لا لشيء لأن الطالب إذا لم يتعلق للعلم و لم ينشرح صدره لهذا الأمر فهو تجده يتكاسل و يتنطح لم يجد الهمة العالية حتى يقبل كما ينبغي على طلب العلم و على المضي قدما في انتفاع به.

نففتح عادة بكلام الله عز و جل و أعظم آية في كتاب الله عز و جل نتحدث عن أعلم و يستشهد بها أهل العلم قوله تعالى في سورة آل عمران:

**"شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"**

افتتح الإمام بن القيم رحمه الله كتابه مفتاح دار السعادة و منشور العلم و الإرادة عند حديثه عن العلم و أهله و فضل العلم و أهله، افتتح هذا الباب و هذا الخص بهذه الآية المباركة ثم استنبط منها بعض الحكم و بعض الدروس و بعض الفوائد فأردت أن أقرأها سنستفيد منها إن شاء الله قال بن القيم: "استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، وهذا يدل على فضل العلم وأهله"

قوله أجل يعني أعظم سيستنبط بن القيم العديد من الفوائد و الحكم و الدروس من هذه الآية المباركة:

1/ استشهدهم دون غيرهم من البشر، خصهم الله تعالى من سائر البشر ممن يستشهد أي صنف من البشر إلا العلماء و في هذا فضيلة و مزية و مكانة.

2/ اقتران شهادتهم بشهادته شهادة أهل العلم بشهادتهم.

3/ اقترانها بشهادة ملائكته، و كذلك في هذا فخر و منقبة عظيمة.

4/ أن في ذل هذا تركيتهم و تعديلهم فإن الله لا يستشهدوا من خلقه إلا العلماء، هذا تعلموه إذا طالب القاضي في المحكمة يجب أن يكون الشهود ثقة و عدول، لا يستشهد أي كان، هناك صفات يجب أن تتوفر في الشاهد.

قال إن في ضمن هذا تركيتهم و تعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول و منه أثر معروف عن النبي صلى الله عليه و سلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

نكتفي بهذه الإشارة المباركة في بيان فضل أهل العلم، و هذا الكتاب يقع في هذه الطبعة في ثلاث مجلدات تناول فيه بن القيم لبيان أهل العلم و فضل أهل العلم و تناول مسائل كلها تحوم حول العلم و هذا من الكتب المؤملة من أراد أن يتبحر من أراد أن يجمع دراسة أو بحثا في هذا الأمر فعليه بهذا الكتاب مفتاح السعادة خصه في هذه المسائل كذلك في طلب العلم و أخلاق أهل علم و في ما يجب أن يتحلى به طالب أهل العلم نجد الرسالة القيمة للشيخ بكر البوزيدي رحمه الله حلية طالب العلم و هذه الرسالة شرحها العديد من أهل العلم

من أحسن الشروح شرح الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله أول فصل في هذه الرسالة القيمة الناتعة نذكر شذرات للفائدة:

الفصل الأول قال رحمه الله: آداب الطالب في نفسه

أولاً: العلم عبادة: أصل الأصول في هذه الحلية بل ولكل أمر مطلوب علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: العلم صلاة السر وعبادة القلب.

يجب على كل طالب علم أن يستشعر أن العلم عبادة و كما تعلمون العبادة لا تقبل إلا بشرطين اثنين الإخلاص و المتابعة فعلى طالب العلم أن يخلص هذا العلم لله عز و جل و لذلك هدف أهل العلم بافتتاح دروسهم بحديث الفاروق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرأ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"

يقول الإمام النووي رحمه الله في كتابه المجموع شرح المذهب:

و السلف يستحبون افتتاح الكتب في هذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية و ابتغاء وجه الله تعالى في الأعمال البارزة و الخفية.

فلا نطلب العلم للزعامة و تصدر المجالس و نصبح رئيس جمعية و رئيس حزب و نظهر في التلفاز و يتكلم عنا الناس، فمن طلب هذا و العياذ بالله تعالى...

نعود لشرح الشيخ العثيمين لهذه العبارة المباركة:

العلم عبادة لا شك نعم، بل هو من أجل العبادات و أفضل العبادات حتى إن الله تعالى جعله في كتابه قسيماً للجهاد في سبيل الله الجهاد المسلح فقال جل و علا (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ليتفقهوا: يعني بذلك الطائفة القاعدة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم ينذرون، وقال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" ..

{ كما تعلمون هذا الحديث في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. }

فإذا رزقك الله الفقه في دينك والفقه هنا يعنى به العلم بالشرع..

{ و كما تعلمون بأن مصطلح الفقه قد تطور عبر التاريخ، كان الفقه عند السلف الصالح عند الأربعين الأول يقصد به العلم و الفهم في مسائل الدين في أحكام الدين جملة باعتقاداتها و أخلاقها و فروعها و أعمالها يقصد به التفقه في علم الدين جملة و لكن اصطلاح المتأخرون على أن يطلقوا مصطلح و كلمة الفقه على الحكم على المسائل الفرعية فقط مسائل الفروع و .. يخرجون منها العقائد و الأخلاق أما الأوائل فكانوا يطلقونها على الفهم في الدين معرفة أحكام الله عز و جل سواء كان في الأصول أو الفروع على السواء. }

قال: والفقه هنا يعنى به العلم بالشرع فيدخل في علم العقائد والتوحيد وغير ذلك فإذا رأيت أن الله منّ عليك بهذا فاستبشر خيراً لأن الله تعالى أراد بك خيراً، وقال الإمام أحمد: ...

{ وهذه القولة جميلة على طالب العلم أن يكتبها بالبند العريض و يقرأها ليلاً ناهراً حتى ينتفع في علمه و يبارك الله عز و جل في طلبه }

قال الإمام أحمد رحمه الله: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته...

{ يعني العلم أعظم النعم بعد الإيمان بالله عز و جل. }

قالوا وكيف تصلح النية يا أبا عبد الله؟...

{ كنية الإمام أحمد أبو عبد الله يا ريت نحیی هذه السنة النبي صلى الله عليه و سلم كان يكني من ليس له كنية و النساء و الرجال على السواء و يكني الصغار و الصبية و تعلمون القصة أنه وجد سيدنا علي نائم على التراب فقال: يا أبا تراب، كناه و سيدنا عبد الرحمن بن صخر كناه بأبي هريرة أو أبي هر النبي صلى الله عليه و سلم لأنه كان يحمل هرة بين يديه، و يا أبا عمير ما فعل النغير، أحد إخوة أنس رضي الله عنه كان يلعب بنغير صغير يعني عصفور فمات في يوم من الأيام فصار يبكي على الطائر فقال له: يا أبا عمير ما فعل النغير، الكنية فيها فوائد عظيمة و أنا رأيت في دراسة قيمة أعدتها طالبة و باحثة في جامعة الأزهر عنوانها الاسم و الكنية يعني الاسم و أثره في تنشئة الطفل و تحدثت أن الكنية لها أثر في بناء الشخصية فعلينا أن نسمي أبناءنا أسماء حسنة و أن نكنيه أيضاً فالطفل إذا كنيته أبا عبد الرحمن أبا سعد فهو يستنتق عن اقتراف الفسائل و الخزعات... }

قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه و عن غيره.

و كما تعلمون بأن على الإنسان أن يطلب العلم أول الأمر كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم و العلم هنا العلم الشرعي ثم تأتي العلوم الأخرى على مراتبها بوب الإمام البخاري في جامعته الصحيح باب العلم قبل القول و العمل ثم أورد قوله تعالى من سورة محمد: فاعلم أنه لا إله إلا الله" قبل قوله "و استغفر لذنبك و المؤمنين.." الآية، فبدأ بالعلم قول العمل و العمل و أذكر هنا قول البيت الإمام بن العاشر في آخر منظومته قال رحمه الله يخاطب طالب العلم:

و يوقف الأمور حتى يعلم ما الله فيهن به قد حكم

قبل أن يقدم العبد عن فعل أي شيء يسأل ما حكم هذا الأمر هل هو حلال أم حرام هل مستحب أم مكروه هل هو مباح، فعلى المسلم أن يتحرى، قبل أن يسقط في المطبات و بعض الناس يأتي يسألك عن مسألة و الله تفرح و تكاد تسجد سجود شكر لأن العديد من الناس يظن أن الإسلام لا علاقة له في بعض الأشياء...

الإسلام يدخل في كل صغيرة و كبيرة، و شريعة الإسلام جاءت لجميع الخلق و لكل زمان و مكان و أحكام الله تتعلق بكل الشروع و هذه عظمة هذا الفقه و عظمة هذه الشريعة و عظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به عز و جل فديننا بجميع الأشياء.

يجب طلب العلم أولاً ثم يعمل بهذا العلم و يطبقه كيف؟؟ أطبق كل ما درسته قال الله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم.." فيجتهد الإنسان أن يطبق ما استطاع من هذه المعارف و العلوم حتى يبارك الله في علمه و كناه السلف يستعينون بحفظ العلم بالعمل على حفظ العلم و يروى في هذا المقام عن سيدنا علي رضي الله عنه قوله جميلة: "يهتف العلم بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل"

يهتف العلم بالعمل ينادي العلم متى سيطبقه متى ستلتزم بهذا متى سأنزل إلى الواقع، فإن طبقه أو فإن التزم به وإلا ارتحل، وكثير يلزمنا العلم و تنزع بركة العلم من عقولهم و قلوبهم بسبب ترك للعديد من السنن و الآداب و الأحكام فالتطبيق العملي هو الذي يرسخ العلم بعد ذلك ينشر هذا العلم ما استطاع في ذلك سبيل و الله أخرجنا للعالمين حتى نصلح في هذه الأرض و حتى نخرج الناس من ظلمات الشرك و التوحيد و نعلمهم ما علمنا الله عز و جل

قال الله تعالى: كنت خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله..، فعلى الإنسان نشر العلم و يجتهد في ذلك و من ذلك ما ثبت في الصحيح ، قال النبي صلى الله عليه و سلم: بلغوا عني و لو آية، يبلغ الإنسان و لكن في هذا التبليغ لن تجد الأرض مفروشة بالورود و تجد الترحيب و الإقبال بل ستجد العراقيل و يصدك و يبغضك و يعاديك فعليك أن تصبر كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات" و قبل ذلك وصية لقمان في سورة لقمان يقول الله عز و جل على لسانه: " يا بني أقم الصلاة و أمر بالمعروف و انهر عن المنكر و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"، على الإنسان أن يصبر لأنه سيجد العديد من العراقيل و يحتسب لله و سيثاب على ذلك.

الدعوة لله لها آداب و أخلاق فعليه أن يجتهد في دعوة الناس 75 سنة و التونسيون تحت الاحتلال الفرنسي الاحتلال الخارجي ثم الاحتلال الداخلي نيف و 50 سنة فكل هذه الفترة في ضلال و احتلال و في إصلاح هذه البلاد و نشر هذا النور و نتدرج رويدا رويدا، لأن الدعوة أن تكون باليسر " ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتتي هي أحسن" فنبداً بأشياء البسيطة و كما يقال في تعريف العالم الرباني: العالم الذي يبدأ بصغار العلم قبل كبارها، نبداً بالأشياء البسيطة لا تحدثوا العامة عن توحيد الربوبية و الصفات، فلا تنتشر بين العامة تلك الأشياء التي تحدث الفتنة هذه مسائل خاصة بطلبة العلم و أهل العلم و قد وقع فيها جدال كبير نتركها في المجالس الخاصة أما العامة فلا و رحم الله الإمام مالك و معه كذلك الإمام الزهري و غيرهما من أهل المدينة كانوا يكرهون إثارة في هذه المسائل و ينهون نشر أحاديث الصفات لما تثيره من البلبلة و الفتنة بين العامة، نتحدث نحن في المجالس العلم و نبسط الكلام فيها و نبين عقيدة السلف الصافية و نبين ما شبه من ذلك من البدع و المحدثات أما العامة فلا ننشر بذلك بينهم فعلياً أن نحدثهم بما يعرفون..، فهذه من الآداب في نشر العلم.

قال الإمام أحمد: ينوي رفع الجهل عن نفسه و عن غيره، فرفع الجهل عن أنفسنا و ارفعوا الجهل عن غيرهم بعد ذلك..

نشأة و أطوار الفقه:

نأتي بعد ذلك إلى مسألة أخرى إن شاء الله: كما ذكرت بأن الفقه قد مر بمراحل و قد شهد بعض التطور، أول الأمر النبي صلى الله عليه و سلم يشرح للصحابه و يفسر للصحابه أحكام الله عز و جل التي جاءت في كتابه ثم بعد ذلك جاء عصر الأئمة الإمام أحمد و الشافعي و الإمام مالك و الإمام أبي حنيفة و بدأت تدون المذاهب و يجمع العلم و قد صنع الشيخ محمد الحجوي الفاسي و هو من كبار العلماء المالكية و من الشيوخ المغاربة له كتاب قيم اسمه الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي أرجو أن تشتروا هذا الكتاب و تنتفعوا به و هو من الكتب الجديدة القيمة و كل من كتب في تاريخ الفقه و إلا هو عال على هذا الشيخ بعده. رأيت طبعة في مجلد واحد هو كان يباع في مجلدين و هو كتاب عظيم القدر تحدث فيه الشيخ محمد الحجوي عن الفقه و تاريخ الفقه

تحدث عن المرحلة الأولى طور النشأة و التأسيس طور النبي و كيف كان صلى الله عليه و سلم يشرح و يفسر و يبين للصحابه أحكام القرآن الكريم كما قال ربنا سبحانه و تعالى: " و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"، بعد ذلك جاء طور الشباب طور النشأة في فترة النبي صلى الله عليه و سلم ثم الطور الثاني كور الشباب ، هذه أطوار ألفها و ذكرها الشيخ محمد الحجوي قال: حيث صار كان الفقه قويا مستويا على سوقه في زمن الخلفاء الراشدين أبي بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم أجمعين و كثرت النوازل و تفرعت المسائل و دخل في الإسلام الملل و الأجناس و تكثر النوازل و الكلام لكثرة المشاكل في المجتمع و جاء الأئمة الأعلام كما ذكرت مالك و أبي حنيفة و الشافعي و أحمد رحمهم الله هذا طور الشباب بدأ الفقه يتشكل و بدأ توضع أصول الفقه و القواعد الشرعية للاستنباط و المرحلة الثالثة كأنها أطوار بشرية طور الكهولة بدأ من مطلع المائة الثالثة 200 و نيف إلى منتهى القرن الرابع 300 و نيف 802 في 90 إلى أن ينتهي القرن الرابع إذ بلغ الفقه أوجه قوته ثم مال إلى القهقرة و يبدأ عهد التقليد و يبدأ عصر التقليد و تكل الأذهان عن الاجتهاد و الاستنباط قال: ثم جاء طور الشيخوخة حيث ذب الهرم في الفقه الإسلامي و ذلك منذ القرن الخامس 400 و نيف الهجري إلى العصور المتأخرة حين غلبت التقليد و التعصب في المذاهب و تضعف الاجتهاد حتى أصيب العقل و الاجتهاد بالركود و الجمود و منذ القرن الخامس ثم السادس تعلق الناس بالمذاهب الأربعة و غيرها و كل فرقة اختارت و كل بلاد اختار مذهباً معيناً يقلدون إمامهم و يتبعونهم في أحكام الفروع و نلاحظ أن الفقه و العلم انه كان له ارتباط شديد بالسياسة و أنتم تعلمون أن الخلافة العباسي التي سقطت في القرن السابع كان لها أثر كبير عندما دخل المغول إلى بغداد إلى العراق و سقطت الخلافة العباسية و وقعت اضطرابات كثيرة في تاريخ الأمة فلم يعد المجال لطلب العلم بعد سيطرة الروافض و الشيعة إلى العراق كما وقعت أيضا في بلاد تونس القيروان فالعلاقة قوية و لها تأثير كبير بين الفقه و بين الساسة و العلماء، بعد طور الشيخوخة يأتي طور آخر و هو طور الصحوة و اليقظة فبعد أن الاحتلال الأجنبي لبلاد الإسلام وقعت صحوة منذ سنة 1300 هجري الذي يوافق 880 تقريبا بدأ الثورات ضد الاحتلال الأجنبي و بدأ الناس يراجعون حساباتهم فبدأ التصحيح و الترجيح في مسائل الفقه و يعودون الناس إلى القرآن و سنة الرسول صلى الله عليه و سلم و هذه الصحوة كانت لها الأثر الإيجابي على تجديد الفقه الإسلامي و من هنا بدأت الكتابات المعاصرة التي تنادي إلى التجديد و العودة في الأصول و نجد أيضا في الفقه الإسلامي بالعموم أو حتى في المذاهب، نحن في المذهب المالكي الرسائل التجديدية التي كتبت في هذه الفترة نذكر من كبار العلماء المجددين في تاريخ المالكي المعاصر الشيخ محمد بن عزوز رحمه الله الذي له رسالة مشهورة في الفقه عنوان هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة للمذهب المالكي، هذه مسألة فرعية أبطل فيها القول و ضعف فيها القول بالسدل في المذهب المالكي و أتى بالأدلة من السنة الصحيحة و من أصح الروايات عن الإمام المالكي خرج بعدها بنتيجة ترجح القول في القبض و خرج من نتيجة يقول فيها إن السدل بدعة في الدين لا أصل لها في سنة رسول الله و كذلك ضعف رواية بن قاسم رحمه الله و قد رد عليه بعض المشايخ و وقعت مجادلات و مشاحنات علمية و نقاش كبير على الساحة فبدأت من هذه اللحظة تجديد فالمذاهب تجدد منذ القرن الرابع عشر للهجري 1300 و نحن نمشي إلى يومنا هذا، الفقه الآن و الحمد لله صحوة عظيمة في العودة إلى الكتب ما يسمى بفقه الدليل و الآن طلبة العلم يميلون إلى فقه الدليل و الناس في هذا الأمر طرفان هذا يجرنا إلى الكلام عن المذهبية و اللامذهبية و البعض منكم يتساءل ماذا سندرس الفقه المالكي أم ماذا؟ هذا الكلام معقول و لا بأس أن يناقشه الإنسان كما قلت الإنسان في هذا الأمر تحيلنا على موضوع الاجتهاد و التقليد الناس في هذا الأمر طرفان يوجب على عامة الناس النظر و الاجتهاد و و الفقه في الكتاب و السنة و القدرة على الاستنباط الأحكام النصوص و أشهر من يقول بهذا الإمام بن حزم الأندلسي و تبعه الشوكاني و غيرهما فهذا موقف و فيه شيء



من الغلو و شيء من الشطر و ثمة بعض من المقلدين يحرمون النظر على سائر الناس فلا يبيحون لا لمن استوي على سوق العلم...

يقول ابن عبد البر رحمه الله (وهو من كبار علماء المذهب) يلقبه الشيخ محمد المكي بن عزوز في رسالته 'هيئة الناسك' فيقول "هذا قرّة عين المذهب" يعني قرت عين مذهب المالكي بين عبد البر فقد خدم خدمة عظيمة جليلة لم يصل إليها أحد من المالكية : شرح الموطأ في مجلدات تحت عنوان "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" شرح النصوص و متن الأحاديث النبوية الموصولة ثم افرد لأثار الصحابة و أقوال الإمام مالك كتاباً آخر سماه "استذكار في أقوال علماء الأنصار" و له كتب كثيرة منها كتاب "جمع بين العلم و فضله" يعتبر مرجع و أساس في هذه المسألة قال رحمه الله : قد ذم الله تبارك و تعال التقليد في غير موضع من كتابه فقال : "اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله" و روي عن حذيفة و غيره قال : لم يعبدونهم من دون الله و لكن احلوا لهم و حرموا عليهم فاتبعوهم و قال علي ابن حاتم : آتت رسول الله صلى الله عليه وسلم و في عنقي صليب فقال لي يا علي ابن حاتم القي هذا الوثن من عنقك و انتهيت إليه و هو يقرأ سورة براءة حتى أتى إلى هذه الآية : "اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله" قال قلت يا رسول الله أننا لم نتخذهم أرباباً قال بلى أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه و يحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه قلت بلى قال تلك عبادتهم. هذا باب في النهي عن التقليد و تحريمه, و لكن يختم هذا الفصل الماتع الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله بتنذير و تحذير و بفائدة جليلة "فيقول و هذا كله لغير العامة" أي انه نهى طلبة العلم عن التقليد الأعمى و التعصب المذهبي أما عامة الناس فعليهم ان يتبعوا إماماً عليهم أن يقلد مذهباً و هذا كله لغير العامة فان العامة لا بد لها من تقليد العامة عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة و لا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك لان العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها و هذا هو الحائل بين العامة و طالب الحجة و الله اعلم و لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها و بأنهم المرادون بقول الله عز و جل "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" و اجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزة بالقبلة إذا أشكلت عليه كذلك من لا علم له و لا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتية و ذلك والله اعلم لجهلها للمعاني التي منها يجوز التحليل و التحريم والقول في العلم. انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله.

و هذا يلخص لنا المسألة فالتقليد ممنوع على من بلغ درجة الفهم والتمييز و النظر عن الله و رسوله أما العامي الجاهل فلا بد له أن يتبع فهو كالأعمى لا بد له أن يقلد أحد أهل العلم حتى يدولانه على سواء السبيل و ينير له الطريق و يبينوا له الحلال من الحرام, و نستطيع الاستشهاد بأجوبة الشيخ ناصر رحمه الله حتى ننصح حبها بعض الشبهات : ينسب إلى شباب أهل السنة عموماً أنهم متنطعون و أنهم يكفرون بالمذهبية و يحرمونها و

## الدرس الأول في فقه العبادات

هذا الكلام فيه نصيب من الصحة لدى بعضهم فمت من قال ممن يحبون السنة انه يجب القضاء على المذاهب و من قال هذا ليس من عامة الناس بل هو من الدكاترة و تعجبت منه و اذكر لكم هذه القولة "تعالى الأصوات الداعية إلى الاجتهاد والى طلب الدليل و قد حمل احد الباحثين عن الفقهاء جميعا وحكم عليهم الخطيئة لا بالخطأ في أرائهم و اتهمهم بالخروج عن الكتاب و السنة في ما اجتهدوا فيه و دعي صراحة إلى القضاء على المذاهب الفقهية بدعوى تجديد الدين فقال في ختام دراسته : واقتلاع المذاهب و استئصالها ليس مجرد إزالة منكر و إصلاح فساد بأول إحقاق حق و أماتت باطل بل بعث كامل للأمة الإسلامية كلها لتحيا بعد ممات و تصحو من سبات

و تطهر من الشرك والضلالات و تعود إلى صفائها و نقائها الذي تركها عليها الرسول صلى الله عليه و سلم. هذا الكلام فيه غلو و شدة لان الإنسان الذي يشتغل في الفقه و العلوم الشرعية يدرك إن كبار العلماء إذا أرادوا أن يدرسوا مسألة شرعية فهم بالضرورة سيعودون إلى المذاهب و إلى هذه البركة العلمية الضخمة و هذا المخزون العظيم الذي يفتخر به الأمة الإسلامية والذي يسمى الفقه الإسلامي فلا توجد امة مثل الأمة الإسلامية لها مثل هذا المجزون العظيم وهذه الآثار و الخيرات التي أبدعتها عقول العلماء المسلمين, وقاعدة طالب العلم هي خذ ما صفى و دع ما كدر فسنة النبي صلى الله عليه وسلم سننتفع بها إذا نظرنا إلى تفسير و شرح و فهم السلف لهذه السنة , سأل الشيخ ناصر رحمه الله هل يلزم طالب العلم تقليد احد الأئمة الاربعة في بداية الطلب فأجاب رحمه الله يلزمه و لا يلزمه ؛ يلزمه إذا كان يعيش في مجتمع لا يجد من يفتيه حينئذ عليه أن يدرس احد المذاهب الأربع المتبعة عند المسلمين وان يمشي على هداهم بشرط إلا يلتزم ذلك التزام المسلم الصادق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم, ليثبت الفرق في نفسه بين إيمانه بعصمة نبيه صلى الله عليه وسلم و إيمانه بعدم عصمة أمامه . لأنها ثمة فروق بين عصمة النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد من السماء و كما قال الإمام مالك رحمه الله: كل يؤخذ من قوله و يرد إلا صاحب هذا القبر و أشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا بدا لطالب العلم إن مسألة من المسائل التي درسها في مذهبه تخالف سنة صحيحة مثال مسألة السبل فهي تخالف السنة الصحيحة حينئذ يدع قول المذهب الذي درسه لإتباع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفعل كما يفعل المقلدة و أضاف كذلك, نحن نفرق بين التقليد فلا بد منه حتى لكبار العلماء فأحيانا الشيخ تأتية نازلة فلا يجد الوقت للبحث و التفتيش عن الأدلة لاستنباط الحكم فتجده يفتش في الفتاوى قان وجد احد الأئمة قد أفتى فيقلده في ذلك الأمر و بعد ذلك إذا وجد فسحة في الوقت يفتش و ينظر في الأدلة و الاستنباط ؛ فلا بد من التفريق بين التقليد و التدين بالتقليد, يعني الإنسان يتعبد بالتقليد و يظن إن كلام الأئمة مثل كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم.